جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الملامح السردية
في رواية "دفاتر الوراق"

إعداد

د/ شعيب (Wen Yan)

دكتوراه الأدب العربي
كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٥هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الملامح السردية في رواية "دفاتر الوراق"

شعيب (Wen Yan)

قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر

البريد الإلكتروني:shoaibwenyan@gmail.com

الملخص:

روايـة "دفـاتر الـوراق" للروائـي والشـاعر الأردنـي "جـلال بـرجس"، تقـدم صـورة للمجتمـع الأردنـي، كمـا تقـدم تعريفـاً للأزمـات الاقتصـادية والاجتماعيـة، وانعكاسـها علـى حيـاة المواطن الأردني. وكذلك الظروف السياسية في العالم العربي كله، في النصف الثاني من القرن الماضي، ودورها في تشكيل الواقع المعاصر. والروايـة تبرز أثر التحولات الثقافيـة فـي ظـل العولمـة، وعصـر تكنولوجيـا المعلومـات، علـى حيـاة المـواطن العربـي بشكل عام، والمواطن الأردني أنموذجاً. والروايـة تلقي الضوء على صراع المثقف مع عـالم يتغيـر نحـو التطـور المتسـارع والرقمنـة، وكـان مـن أهم نتـائج البحـث: أن الكاتـب جلال برجس قد أبدى في هذه الرواية قدرة احترافية على السرد،

وتناولـت الروايـة بعـض الظـواهر الاجتماعيـة مثـل الفقـر والتشـرد، والسـلطة الأبويـة، والتمايز الطبقي، وانتشار المرض النفسي في العصر الحديث لاسيما الاكتئاب، وتأثير الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي على حياة الناس وأفكارهم، وأظهرت الرواية أن بعـض هـذه القضـايا تحمـل طابعًـا عالميًـا كـأثر مـن آثـار العولمـة، وبعضـها تحمـل خصوصيةً في المجتمعات العربية لما تحمله من أثر الثقافة العربية التي تعطي الآباء سلطة مطلقة في تحديد مصير الأبناء، وانعكاس تلك الظواهر على حياة الإنسان الأردني المعاصر، اتخذ الكاتب تقنية الراوي المشارك في الأحداث من خلال مجموعة من شخوص الرواية يقومون بدور الراوي بالتناوب، مفضلاً ذلك على تقنية الراوي العليم، لما لها من مصداقية لدى القارئ، ولما تسمح به من كشف عن دواخل الشخصيات ودوافعها وأبعادها النفسية والعاطفية.

الكلمـات المفتاحيـة: المجتمع الأردني، دفاتر الوراق، جلال برجس، الراوي، السرد.

Narrative features in the novel "Dafater Al-Warraq"

Shoaib (Wen Yan)
Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, Alexandria University, Egypt
Email: shoaibwenyan@gmail.com

Abstract:
The novel "Notebooks of Warraq" by the Jordanian novelist and poet "Jalal Barjas", presents a picture of the Jordanian society, as well as a definition of the economic and social crises, and their reflection on the life of the Jordanian citizen. As well as the political conditions in the entire Arab world, in the second half of the last century, and their role in shaping contemporary reality. The novel highlights the impact of cultural transformations in light of globalization and the age of information technology on the life of the Arab citizen in general, and the Jordanian citizen as a model. The novel sheds light on the struggle of the intellectual with a world that is changing towards rapid development and digitization, and one of the most important results of the research was: that the writer Jalal Barjas has shown in this novel a professional ability to narrate،The novel dealt with some social phenomena such as poverty and homelessness, patriarchal authority, class distinction, the spread of mental illness in the modern era, especially depression, and the impact of the Internet and social media on people's lives and ideas. Especially in Arab societies because of the impact of Arab culture that gives parents absolute power in determining the fate of children, and the reflection of these phenomena on the life of the contemporary Jordanian man. The technique of the knowledgeable narrator, because of its credibility with the reader, and what it allows him to reveal the insides of the characters, their motives, and their psychological and emotional dimensions.

Keywords: Jordanian Society, Dafater Al-Warraq, Jalal Barjas, The Narrator, Narration.

تدور أحداث الرواية[1] في الحقبة الزمنية، الممتدة بين عامي ١٩٤٧م، إلى حدود عام ٢٠١٩م، في العاصمة الأردنية "عمان" لتحكي عن شخصيات تعاني من فقد بيوتها، وشخصيات أخرى تجهل نسبها، فتتقاطع مصائر الشخصيات بعضها ببعض، لتبرز قيمة البيت، الذي يحمل رمز الوطن، في مقابل أكثر من شكل للخراب، سواء كان الخراب المادي أو الخراب الداخلي.

وأحداث هذه الرواية المتميزة تركز على شخصية "إبراهيم الوراق"، وهو الشخصية المحورية في الرواية، هو وراقٌ مثقف وقارئ نهم للروايات، إلى درجة أن تتلبسه شخصيات الروايات، ويجد نفسه يتصرف عبر هذه الشخصيات، لكن

---

(١) رواية دفاتر الوراق لجلال برجس.

التعريف بالروائي "الأديب الشاعر جلال برجس": هو الشاعر والروائي الأردني جلال برجس، ولد في الثالث من يونيو عام ١٩٧٠م، في قرية حنينا التابعة لمحافظة مادبا، وتخرج في مدارسها، ثم درس هندسة الطيران، ليعمل في هذا المجال لسنوات عديدة. ثم انتقل بعدها للعمل في الصحافة الأردنية كمحرر في صحيفة الأقباط، ثم مراسلاً لصحيفة الدستور، وعضو هيئة تحرير عدد من المجلات، ثم عاد للعمل في مهنته الأولى.

نتاجه الأدبي: لقد حفلت حياة "جلال برجس" بالعديد من الأعمال الأدبية المتميزة، ومنها:

أعماله الشعرية: الديوان الشعري "كأي غصن على شجر"، عام ٢٠٠٨م.

الديوان الشعري "قمر بلا منازل"، عام ٢٠١٢م.

أعماله القصصية: قصة الزلزال عام ٢٠١٢م.

أعماله الروائية: رواية مقصلة الحالم عام ٢٠١٣م.

رواية أفاعي النار عام ٢٠١٦م.

رواية سيدات الحواس الخمس عام ٢٠١٧م.

رواية دفاتر الوراق عام ٢٠٢٠م.

كتبه: كتاب "رذاذ على زجاج الذاكرة" عام ٢٠١١م.

كتاب "شبابيك مادبا تحرس القدس"، عام ٢٠١٢م.

جراء العزلة والوحدة، وما عاشه من قسوة فقد صاحب التفاقم حالته النفسية، فتكتمل بإصابته بفصام في الشخصية، ويحاول الانتحار، قبل أن يلتقي بالمرأة التي تغير مصيره. وتختفي تاركة له دفتر مذكرات، ويتعرف البطل على مأساتها من دفتر مذكراتها.

نص الرواية السردي في "دفاتر الوراق":

لقد اعتمد جلال برجس في رواية دفاتر الوراق على **تقنية الراوي المشارك**، وذلك من خلال تقسيم نص الرواية على لسان عدد من الشخصيات، وجعلهم يتناوبون دور الراوي في كل فصول الرواية، وكأن الرواية مجموعة من الروايات الصغيرة المجزأة، ثم يبدأ شيئًا فشيئًا في ربط خيوط الروايات ببعضها البعض حين يلتقي الشخوص وتتشابك مصائرهم.

وتنقسم فصول الرواية إلى أجزاء يتناوب فيها السرد المباشر ثلاثة رواة هم أبطال الرواية؛ "إبراهيم"، و"ليلى"، والصحفية التي يكشف الكاتب عن اسمها فيما بعد حين نعرف أنها "ناردا".

فالرواية في الحقيقة يتناوب الحكي فيها أربعة رواة، يروي كل واحد منهم أحداثاً مختلفة، ولا يشتركون إلا في القليل من الأحداث، حيث تتقاطع وجهات نظرهم حول تلك الأحداث.

الراوي المشارك "إبراهيم":

إبراهيم هو الشخصية الرئيسة في الرواية، لذلك كان من الطبعي أن تبدأ الرواية وتبدأ كل فصولها به: «كنت مثقلا بالحزن كقطعة إسفنج أشبعت بالماء»[١].

(١) جلال برجس، دفاتر الوراق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٢٠م، ص ١١.

ففي أول جملة في الرواية يخبرنا الكاتب أنه سيستخدم ضمير المتكلم على لسان إبراهيم، ونجد أن إبراهيم على امتداد الرواية يصف حالته النفسية والوجدانية، مما يجعل القارئ يفهم السبب في اختيار نمط الراوي المشارك، فإبراهيم شخصية مركبة ومعقدة، وتحمل أبعاداً نفسية عميقة.

والأبعاد النفسية والشعورية لشخصية مثل إبراهيم لا يمكن أن تتضح إلا من خلال حديثه عن نفسه بضمير المتكلم، وكأنه يجلس في عيادة للطب النفسي في جلسة مع الطبيب: «لم أهتم بأحد، ولم يهتم بي أحد»(١).

فمن النصين السابقين يستخدم إبراهيم ضمير المتكلم في التعبير عن الأفكار التي تدور بداخله، ولا تظهر للعلن.

«كان يمكنني أن أخبر أي واحد من عائلتي بشأنه، لكن من كان سيصدقني»(٢).

الراوي وتقنية الاسترجاع [ليلى]:

الراوي الثاني في الرواية من حيث الظهور هو ليلى، وهي فتاة لقيطة عاشت سنوات عمرها الأولى في الملجأ، ثم حين بلغت عمر الشباب كان عليها أن تغادر الملجأ لتواجه الحياة وحيدة، وتبدأ في السرد من لحظة خروجها من باب الملجأ، لكنها تعطينا معلومات عن تاريخها من خلال الاسترجاع:

«خطوة واحدة إلى الأمام سنجعل الملجأ يبتعد إلى الوراء، وتقترب حياة جديدة لا أعرف عنها شيئاً إلا ما كونته المخيلة من الأحاديث مع شقيقات وأشقاء عشت معهم ثمانية عشر عاماً. خطوة واحدة نحو عالم لا عائلة لي فيه ولا أقرباء»(٣).

---

(١) المصدر السابق، ص ١٢.

(٢) جلال برجس، دفاتر الوراق، مصدر سابق، ص ١٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٢١.

«فتذكرت ليلة أن تحرشت بي المشرفة: كنت قد خرجت من الحمام للتو أقف أمام المرأة أجفف شعري . رأيتها ورائي... كانت كلماتها أشبه بهم غير مفهوم وهي تلامس جسدي وتخبرني برغباتها، خرجت نصف صرخة من فمي، والنصف الآخر كتمته بيدها القوية، دفعتني نحو الحمام وقالت بلكنة قاطعة: (إن قاومت سأجعل سخط الدنيا ينزل على رأسك)، ثم اغتصبتني»[١].

فمن النصين السابقين يبقى الجانب الأكبر من الأجزاء التي ترويها ليلى، مستقلاً بذاته عن جسد الرواية الأساسي، وكأنه رواية موازية تسير جنباً إلى جنب مع رواية إبراهيم، رواية لها أشخاصها وأحداثها المستقلة.

الراوي ودفاتر المذكرات وتقمص الشخصيات [الراوي ناردا]:

ظهرت كراوٍ ثالث للرواية، في الأجزاء التي تحمل عنوان "الصحافية" في معظم الرواية، وكان الكاتب يتعمد إخفاء اسمها لكونه غير معروف لإبراهيم، مما يجعل القارئ يتساءل عن علاقة الصحافية بالرواية، ويصنع لها أيضاً خطاً روائياً موازياً لروايتي إبراهيم وليلى، لا يتقاطع معه حتى بعد أن تقابل ناردا إبراهيم، إذ تبقى كراوٍ تحت اسم "الصحافية"، بينما يسميها إبراهيم "السيدة نون"، ويكتشف القارئ بعد ذلك أن كلاهما "ناردا".

وتبدأ ناردا حكايتها على نحو يكشف الكثير من أبعاد شخصيتها، فمن الصفحة الأولى التي تتكلم فيها ناردا نعرف أنها امرأة وحيدة، مريضة بالاكتئاب، بفعل أحداثٍ مرت بها في الماضي تكشف عنها تباعاً:

«لم أكن أفكر من قبل أن أعمل في الصحافة؛ قرأت إعلانًا يشير إلى حاجة صحيفة لمحررين فخضعت لامتحان اجتزته من المرة الأولى. قال لي مدير التحرير إن لي مهارة جيدة في صياغة الخبر. لم أكن متيقنة مما قاله،

(١) السابق، ص ٢٢.

رأيت أن ما أفعله عادي، ولو سألني أحد لقلت له إني عملت لأقتل الوقت؛ فأنا امرأة غير اجتماعية إن ذهبت إلى مناسبة فإني أذهب حينما أجد أن لا مناص من ذلك. ما عدت أهتم بملابسي كما فعلت في أول أيام عملي حين تعرضت لكثير من محاولات التقرب من الرجال»[١].

ويؤكد الباحث على تقنية تعدد الرواة، حيث نجد أن الكاتب جلال برجس قد استخدم تقنية تعدد الرواة، من خلال عدد من الرواة المشاركين، الذين اتخذوا كلهم ضمير المتكلم، ما عدا "جاد" الذي استخدم ضمير الغائب.

وبتقنية الراوي المشارك استطاع أن يحصل على ثقة القارئ فيما يروي من أحداث. واستطاع أن يجعل شخصيات الرواية تنطق بأفكارها ومشاعرها بوضوح، وجعل القارئ يدخل إلى أعماقهم ويفهم دوافعهم النفسية والعاطفية. بينما استخدم جاد تقنية الراوي العليم بالحديث عن نفسه بضمير الغائب، ليقف من نفسه موقف القاضي ويحاسبها على أفعالها.

(١) جلال برجس، دفاتر الوراق، مصدر سابق، ص ١٠٨.

اختلاط الأزمنة والأمكنة

إن أحداث رواية "دفاتر الوراق" دارت في أربعة أماكن؛ عمان، ومادبا، والعقبة، وموسكو، لكن الانتقال بين الأماكن تلك لم يكن بالتناوب أو بنظامٍ ثابت، بل كان ذلك وفق حالة من الاختلاط والتداخل السردي.

وقد تبع هذا الاختلاط المكاني اختلاط آخر في الأزمنة، فإن كل مكان كان يحمل معه زمنه الخاص، فعمان كانت مسرح الأحداث الراهنة التي يعيشها البطل في الرواية "إبراهيم".

والمكان يُعد من أكثر العناصر المكونة للنص أهمية، وهو يظهر في الرواية من خلال أشكال، ويتخذ معان متعددة، حتى أنه أحيانًا يمثل السبب الذي أوجد العمل السردي، وحتى إذا تخلى الكاتب عن الوصف، فإن المكان يظهر من خلال السرد، إذ يحتاج أي سارد إلى مكان، يمتد تأثيره حتى يصل إلى أن يحتوي العناصر الداخلة في السرد بأكملها(١).

وبالإضافة إلى اختلاف الأمكنة من حيث طابعها ونوعية الأشياء الموجودة فيها، فإنها أيضًا تخضع في تشكيلاتها إلى مقاييس أخرى ترتبط بالضيق والاتساع، والانغلاق والانفتاح، فالزنزانة ليست كالغرفة، والمنزل ليس مثل الميدان، فإن الأبعاد الهندسية للمكان تؤثر على علاقة الشخصيات بها، وببعضهم البعض، وبالفضاء من حولهم(٢).

الأزمنة في عالم المتلقي:

أما الأزمنة فإنها تتداخل وتختلط بصور مختلفة، لكن معظمها يكون إما بتقنية الاسترجاع أو بالانتقال إلى زمن مغاير في الماضي من خلال قراءة أحد

(١) الجيلالي الغرابي، عناصر السرد الروائي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٦م، ص ٤٣.

(٢) حميد لحميداني، مرجع سابق، ص ٧٢.

الشخصيات لمذكرات الآخر، والنوع الثاني هو سيد الموقف في صياغة حركة الزمان في الرواية، فالمذكرات الموجودة في دفاتر كل من جاد الله ونـاردا هي المتحكمة في عملية الانتقال من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر على امتداد الرواية، ولعل ذلك السبب في عنونة الرواية بـ"دفاتر الوراق"، فالدفاتر هي التي تصحب القارئ في رحلة عبر صفحات الرواية من البداية وحتى النهاية.

و**يظهر اختلاط الأزمنة منذ الصفحة الأولى في الرواية، حين يقرر إبراهيم اختيار اللحظة التي يبدأ منها سرده، ثم يروي حدثًا وقع قبل تلك اللحظة بسنوات:**

«كنت مثقلا بالحزن كقطعة إسفنج أشبعت بالماء حينما نظر رجل في السبعين من عمره بوجهي وهو يدفع لي ثمن كتاب اشتراه، ثم قال قبل أن يمضي متوكئًا على عكازه واختفي في زحام وسط البلد: (كلما كثر صمتك كبر حزنك). بعد كل تلك السنين ها أنا أتذكر ما قاله ذلك الرجل وأكتب»[١].

وهكذا يأخذ الزمن في الرواية حركة ترددية جيئة وذهاباً بين الماضي والحاضر السردي، فكل شخوص الرواية يصنعون لأنفسهم تاريخاً بنفس الطريقة، الانتقال من الحاضر إلى الماضي، ثم العودة للحاضر مرة أخرى:

«لقد كان الصوت ذاته الذي أخذ يهمس لي منذ أن رحلنا من بيتنا الأول قبل خمسة وثلاثين عامًا»[٢].

«فوضى من كتب (كشك الوراق) الذي أقامه أبي على رصيف أول شارع الملك حسين عام ١٩٨١، ونقلتها إلى البيت قبل أسابيع بعد أن استلمت بلاغاً من أمانة العاصمة يشدد على ضرورة تركي للكشك»[٣].

(١) جلال برجس، دفاتر الوراق، مصدر سابق، ص ١١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣.

(٣) السابق، ص ١٦.

ويرى الباحث أن الرؤية النقدية في الفضاء الزمكاني قد تحققت في رواية "دفاتر الوراق"، وعليه فإن الكاتب في رواية دفاتر الوراق قد صنع نسيجاً متلاحم الخيوط من الأزمنة والأمكنة لتصنع لوحة متكاملة، باستخدام الاختلاط بين الأماكن المتجاورة والمتباعدة، وبين الزمن الحاضر السردي وأزمنة ماضية بطرق عدة، مما يُثري العملية السردية، ويكسبها حالة من الحيوية، ويخلق حالة من التفاعل بين النص والمتلقي.

وإن كانت السمة الغالبة على البنية الزمنية في الرواية هي التتابع، فيما يخص الحدث الرئيس، إلا أن الكاتب صنع إلى جانب ذلك هامشاً من البنية الزمنية القائمة على التداخل، حيث «تتناثر مكونات السرد في الزمان، ثم يقوم المتلقي بإعادة تنظيمها، فالحدث السابق لا يكون سبباً للاحق، إنما يجاوره، وقد تظهر النتائج قبل الأسباب، وقد تُستبدل بعلاقات سردية بدل العلاقات السببية المعروفة، بل بكيفية وقوعها»[١].

الوصف في رواية "دفاتر الوراق":

في رواية "دفاتر الوراق" نجد الكاتب "جلال برجس" يولي الوصف عناية كبيرة، لا تقل عن عنايته بالسرد، وإذا كان القارئ قد انخرط في متابعة تقنيات السرد المتنوعة في الرواية، فإن عينه لا تخطئ المساحات الشاسعة التي أفردها المؤلف للوصف، فقد أراد الكاتب أن يصنع صورة متكاملة للأماكن التي تدور فيها أحداث الرواية، حتى يصنع حالة مشهدية في الرواية، تجعل القارئ يرى الأحداث بعين خياله حينما يقرأها.

(١) عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ص ١٠٩- ١١٠.

ويطفو الوصف على ذكريات إبراهيم أيضًا التي تحفل بالوصف، إذ تتداعى إلى ذاكرته مشاهد تحمل انطباعات الطفولة، منها مشهد عودة أبيه من الاعتقال: «قفزت أمي مسرعة فأطل وجه أبي وقد أطلق لحيته، وغادرته الابتسامة، وانطفأ الضوء الذي اعتدنا رؤياه على جبينه. وقفت أنا وعاهد ننظر إلى أبي وأمي تحتضنه غارقة بالبكاء. لا أنسى ملامح أبي الحزينة ينظر إلينا من أعلى كتفها بعينين مرتخيتين. كان وجهه متعباً حينما عانقنا وفيه شيء جديد، شيء يشبه شرخاً في مرآة، يعاند البكاء كأنه لا يريد أن يكشف ما حل به من ضعف»(١).

فتدل أوصاف الأب حال عودته من الاعتقال عن حجم الألم والتعذيب الذي تعرض له في تلك المحنة، وما لها من أثر على جسده وعلى روحه.

في مشهدٍ وصفي آخر يتوقف الزمن لوصف امرأة تجاور إبراهيم في الحافلة: «تلتصق بي امرأة بدينة لها صدر كبير، وعينان واسعتان مكحلتان، يفوح منها عطر نفاذ إلى جانب رائحة لبان يصدر أصواتاً وهي تمضغه باستمرارية غريبة. حاولت أن أترك مسافة بين جسدي وجسدها لكنني لم أستطع، كان جسدها ساخناً طرياً»(٢).

فتتدفق العبارات في هذا المقطع لتعطي المرأة كل الصفات الشبقية التي تصنع منها مادة للرغبة الجنسية، مما يكشف عن الرغبات الحبيسة داخله، والتي يُفصح الصوت عنها في حواره معه.

وفي النص التالي يعطي الكاتب أهمية كبيرة لوصف الأماكن، حتى أنه يستغرق في وصف تفاصيل بعض الأماكن بدقة شديدة.

(١) جلال برجس، دفاتر الوراق، مصدر سابق، ص ٢٥.

(٢) جلال برجس، دفاتر الوراق، مصدر سابق، ص ٣٢.

وكذلك في هذا النص الوصفي:

«عبرت الزقاق أسير خلف ليلى إلى أن وصلنا بيتا مهجوراً عتيقا بني من الحجر: بابه الرئيس عالٍ، اعتلاه قوس مزخرف، تمامًا مثل نوافذه التي بنيت بإتقان هندسي جميل، وأحيط بسور هابط فيه مساحة صغيرة صعدت منها شجرة سرو معمرة، وشجرات أخرى يبست وما تبقى منها إلا جذوعها»(١).

فيقدم الكاتب مقطعاً طويلاً يصف فيه البيت المهجور الذي لجأ إليه مع ليلى حين صار مشرداً بلا مأوى، وتنطق تفاصيل المكان بقدرة الكاتب على التصوير المشهدي، الذي يجعل وصف المكان حيًا مما يجعل القارئ يشعر وكأنه يشاهد المكان بعينه.

رؤية الباحث النقدية:

وهكذا فإن المؤلف قد اختار تقنية تعدد الرواة، وكانوا جميعًا رواة مشاركين في الأحداث، حتى يعطي الأشخاص فرصة للتعبير عن انفعالاتهم ومشاعرهم على نحو واضح، لم يكن ليحصل على نفس القدر من الوضوح لو اتخذ راويًا واحدًا، مما يُظهر الغاية الفنية لدى الكاتب.

كما أن اختلاط الأزمنة والأمكنة كان منتشرًا على امتداد الرواية بهدف إكسابها الحركة والحيوية في العرض.

والكاتب اعتمد على الوصف على امتداد الرواية لإراحة القارئ من الحالة السردية المتواصلة، ولاتخاذ حالة من المشهدية في وصف الأماكن والأشخاص الذين يحملون أهمية خاصة تجاه أحداث الرواية، مما يكشف عن احترافية الكاتب في مجال الكتابة الروائية.

(١) المصدر السابق، ص ١٨٨.

أحداث الرواية بين الواقعية والخيال:

إن عنصـر الخيـال بمثابـة الأداة التـي تتشـكل بهـا الأبعـاد الجماليـة، والتصويرية في الرواية، باعتبارها نصاً أدبياً يميل إلى الجمال، والتخييل، ويبرز وجدان الكاتب كما يبرز فكره.

وفـي روايـة "دفـاتر الـوراق"، مـزج الكاتـب "جـلال بـرجس" بـين الواقعيـة والخيـال، فـي سـرده لأحـداث الروايـة، مـن أجـل إمتـاع المتلقـي وجـذب انتباهـه وتحريـك عاطفتـه تجـاه شـخوص الروايـة، سـلباً أو إيجابـاً. وكـان تتـابع الواقعيـة والخيال في الرواية، يسير على نمط غير منتظم، حتى أن القارئ يصعب عليه أحياناً أن يتوقع واقعية، أو خيالية الحدث.

السرد الواقعي والخيالي في رواية "دفاتر الوراق":

"دفاتر الوراق تأرجح حدثي بين الواقعية والخيال":

عند قراءة رواية دفاتر الوراق، نجد أن الكاتب جلال برجس قد اعتمد في السرد على التضفير بين الواقعية والخيال؛ ليصنع عالمه الروائي. وتؤلف حبكة الرواية من أحداث واقعية وأحداث خيالية، تتضافر لتصنع حالة سردية، تترك أثرها المنشود، لدى المتلقي كما أراده الكاتب.

الحدث الواقعي "خروج ليلى من الملجأ":

ومن أمثلة السرد الواقعي في الرواية ما ترويه ليلى عن لحظة خروجها من الملجأ إلى العالم الخارجي: «خطوة واحدة إلى الأمام ستجعل الملجأ يبتعد إلى الوراء، وتقترب حياة جديدة لا أعرف عنها شيئاً، إلا كونته المخيلة من الأحاديث من شقيقات وأشقاء عشت معهم ثمانية عشر عاماً، خطوة واحدة نحو عالم لا عائلة لي فيه ولا أقرباء، أعطوني مائتي دينار، وبطاقة شخصية فيها اسم أم،

وأب مستعارين، ودلوني على بيت تسكن فيه النزيلات السابقة للملجأ، ثم قالوا لي عليك أن تغادري الآن، هكذا وبكل بساطة»[١].

فيبدأ الروائي النص السابق بمشهدية واقعية بحتة، فعندما تخطو ليلى إلى الأمام، يتراجع الملجأ إلى الوراء، والملجأ هنا ليس المكان فقط، بل حياة الملجأ، التي تمثل لها العالم المألوف، الذي اعتادت الحياة فيه ثمانية عشر عاماً، مما يجعل الحياة التي تقترب منها بالنسبة لها غريبة موحشة، وقد جعل الكاتب الملجأ هو الذي يبتعد، والحياة الجديدة تقترب، فنسب إليهما فعل الحركة ليوحي للقارئ أن ليلى في هذا الموقف مسلوبة الإرادة ولا فعل لها.

ويستنتج المتلقي غوص ليلى في ردهات قسوة الحياة، حتى عندما تم تزويدها بما يلزم لبدء الحياة الجديدة خارج الملجأ، كانت كلها في نظرها بلا فائدة، فالمبلغ المالي قليل، والبطاقة تحمل اسمي أب وأم غير حقيقيين، والبيت الذي تذهب إليه تسكنه نزيلات سابقات في الملجأ ليس بيتاً بالمعنى المعروف، وتعلق على طلبهم منها المغادرة "هكذا وبكل بساطة"، لتعبر عن شعورها بالمرارة وبقسوة هذا القرار بطردها من الملجأ إلى الحياة الخارجية وحدها.

الحدث الواقعي "واقع فتيات الملجأ":

ويجيد الكاتب تصوير الواقع القاسي المؤلم الذي تعانيه الفتيات خريجات الملجأ، من ظلم المجتمع، والاستغلال الواقع عليهن: «لم يتغير الحال، كنت أعتقد أنه سيكون أفضل بعد أول خطوة لي خارج الملجأ، لكني وجدت نفسي سجينة مع فتاتين محبطتين: أسماء التي تنهكها ساعات العمل الطويلة، وترهقها

(١) جلال برجس، دفاتر الوراق، مصدر سابق، ص ٢١.

مقاومتها لرب عمل يرى أن عليها فتح (....) أمام أول نظرة شهوانية منه بما أنها قادمة من الملجأ ولا عائلة لها»[١].

وهكـذا يتجلـى ظهور السرد الواقعي في حجم التباين بين أحلام ليلى وواقعها، فعندما كانت في الملجأ، كانت تظن أن الحياة خارجه أفضل، ولذلك عند لحظة خروجها منه كانت تحمل أحلامًا كثيرة، تحطمت كلها على صخرة الواقع، فقد وجدت نفسها سجينة في البيت الذي لجأت إليه لتكون برفقة زميلتيها. وكذلك فإن الواقع الذي اكتشفته جعلها تعرف أن العالم خارج الملجأ أكثر شراسة وقسوة من داخله؛ فزميلتها أسماء تعمل طوال النهار لتصل إلى حد التعب، وهي في نفس الوقت تدافع عن نفسها أمام صاحب العمل المتحرش، وهذا الجزء يكشف أيضًا واقع المجتمع ونظرته الظالمة للفتاة التي تعيش في الملجأ.

المشاهد الواقعية ... سياق سردي في الرواية:

والكاتب يعتمد المشهدية في تصوير معظم فصول الرواية، إذ تشترك عناصر الصوت، واللون، والحركة في رسم المشهد السينمائي في الموقف السردي: «تراجعت حرارة الطقس فأصبح المشي ممتعاً في تشرين الثاني، ورائحة الشتاء تلوح في هوائه، غادرتُ الصحيفة التي أعمل بها صحافية بعد أن طلبتُ إذناً من مدير التحرير، فغادر هو الآخر يرافقني في المشي من عند جسر النهر إلى أن تعب وأوقف سيارة أجرة ومضى»[٢].

وهكـذا، يصور الكاتب أجواء شهر نوفمبر حيث يقترب فصل الشتاء، ويعبر عن اقتراب الشتاء برائحته التي بدأت تظهر في الهواء، مما يمهد لمساءٍ هادئ وحالم، يحمل ملامح الهدوء من خلال الصوت "طلبت إذنًا"، والحركة

(١) جلال برجس، دفاتر الوراق، مصدر سابق، ص ٦١.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٨.

"أصبح المشي ممتعًا – غادرت الصحيفة – يرافقني في المشي – أوقف سيارة أجرة ومضى".

السرد الخيالي، والوهم الإبداعي:

يمتزج الخيال بالواقعية في السرد عند جلال برجس في روايته "دفاتر الوراق"، ويظهر ذلك في العقدة الرئيسة في الرواية، إذ نكتشف أن البطل إبراهيم يعاني من مشكلة غير تقليدية، تبدأ في الظهور حين يقول: «فجأة دبت حركة في بطني ورأيته ينتفخ شيئاً فشيئاً إلى أن صار كبطن امرأةٍ في شهرها التاسع، نهضتُ مفزوعًا أدور حول نفسي في الغرفة، ويداي تلامسانه، ولا أفهم ما الذي يجري، وكيف ينتفخ بطني؟ ..... حبوت إلى أن أمسكت بمقبض الباب، فسمعت الصوت الذي داهمني يوم ماتت أمي، لكنه أتى هذه المرة قوياً واضحاً:

– ماذا ستقول لهم إن خرجت يا إبراهيم؟ سأتلاشى بمجرد أن تتجاوز هذا الباب، قلت لك منذ زمن حينما لم أجدك تطيع ما أقول: لا بد لي أن أفعل ما لم تفعله أنت، أيها الجبان»[(١)].

إن الكاتب يعرض في هذا الموقف الأبعاد الأولية للمشكلة الأساسية في الرواية، فإبراهيم مريض نفسي يعاني من أحد أنواع الفصام المصحوب بالهلاوس، ولكن الكاتب لم يُصرح بهذه الحقيقة منذ البداية، بل صاغ الأزمة في قالب من الخيال الغرائبي حتى يجعل القارئ يعيش التجربة من منظور إبراهيم لا من منظور خارجي.

ويرى الباحث أن سيطرة الواقعية السحرية على هذا المشهد الروائي هي انبعاث للخيال؛ فيقدم الكاتب المشهد بطريقة خيالية، ربما يجوز لنا أن نقول إنها تنتمي "للواقعية السحرية"، فيقدم حدثاً واقعياً بطريقةٍ خيالية. فبطن البطل تنتفخ

(١) جلال برجس، دفاتر الوراق، مصدر سابق، ص ١٨.

عندما يكون وحده، حتى يصبح مثل بطن امرأةٍ تحمل جنيناً، وهذا الحدث يكون مؤشراً على ظهور الصوت الذي يخرج من بطنه ليكلمه، وهذا الحدث لا يشهده إلا إبراهيم، وعندما يكون وحده فقط. وهذه مبالغةً من الكاتب في خيالية الموقف.

الخيال السردي و"صراع العقل الباطن والواعي":

وحين يشتد الصراع يحاول إبراهيم التخلص منه بالطرق التي يعرفها، حتى أنه يذهب إلى قسم الشرطة، ويحكي حكايته الغرائبية للضابط الذي يسخر منه: «كأني يا سيدي الضابط حامل مثل أي امرأة يتحرك جنينها في بطنها، حامل بكائن خطير يتحرك في لحظات يغضب بها.

قاطعني الضابط ضاحكًا: – وماذا يقول لك هذا الجنين؟

– يا سيدي إنه أكبر من جنين، إنه بحجم الوحش، وبطباعه ذاتها.

قال الضابط بنبرة غاضبة: – ماذا يقول لك؟ – إنه يحثني على قتل شخصياتٍ ما، وحتى إنه يطلب مني أن أمثل بالجثث»[1].

فيعرض النص السابق محاولة إبراهيم التخلص من مشكلته فيزيدها تعقيداً، إذ ليس من الممكن لأحد أن يصدق الحكاية الخيالية التي يحكيها إبراهيم على هذا النحو، وتبين هذه الفقرة أنواع الأفكار التي يعمل الصوت على تحريض إبراهيم على القيام بها، فالأمر يتجاوز القتل إلى التمثيل بالجثث.

ويأتي مشهد كشف حقيقة الصوت خياليًا مغرقًا في الفانتازيا، ذلك عندما توجه إبراهيم إلى البيت المهجور حين علم بقرار هدمه: «رأيت سلام تركض شاقة طريقها عبر الناس وتصرخ: (هناك أناس في داخل البيت لا تهدموه)، انتفخت بطني أكثر من أي وقت مضى، وراحت تكبر، وأخذ جلد بطني يتمزق شيئاً فشيئاً، إلى أن رأيتُ طفلاً يخرج منها، له ملامحي نفسها، يركض عبر

(١) جلال برجس، دفاتر الوراق، مصدر سابق، ص ٤٨.

الناس الذين تجمعوا، وحبله السُري موصول ببطني، أخذ يقفز على أكتاف الناس ورؤوسهم إلى أن وصل رأس البلدوزر وصرخ بصوتٍ مدو تجاوز المدينة: (لا تهدموا البيت)، لكن المطرقة كانت قد هوت على السقف، فتهاوى»[(١)].

فيحمل النص السابق ذروة الأحداث في الرواية، وآخر نقطة في الصراع، وقد كانت صياغة السرد فيه أعلى مستويات الخيال السردي، ويتخذ البيت المهجور بُعداً رمزياً في هذا المشهد، إذ إنه يمثل ما بقي من إنسانية المجتمع وقيمة الرحمة والعدل فيه، وقد تواطأ الناس جميعهم على هدمه، لذلك يصرخ الطفل بصوت تجاوز المدينة، وكأنه التحذير الأخير للمجتمع ليحتفظ بآخر ما تبقى لديه من إنسانية، لكن المطرقة هوت على السقف فسقط، معلناً فقدان الأمل الأخير في أن ينصلح حال هذا المجتمع الذي صار يطحن الفقراء والضعفاء بلا رحمة.

رؤية الباحث النقدية:

وبعد عرض عدة نماذج سردية من الرواية تبين أن الكاتب قد استخدم السرد الواقعي، والخيالي بشكلٍ متداخل. حيث كان للواقعية والخيال دورهما في صنع حبكة الرواية ونمو الصراع فيها، وكانت العبارات في كلا النوعين من السرد محملة بقدر كبير من الرمزية، كما تحمل الرموز دلالات إيحائية، تخدم المغزى الذي يرمي الكاتب إليه.

ويؤيد الباحث الرأي النقدي في أن الرواية تمثل نوعًا من الأدب الروائي أطلق عليه النقاد "تيار الوعي"، وهي وإن كانت تحمل فكرةً واقعية تقوم على انتقاد الكثير من الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الأردني، إلا أن الكاتب عبر عن فكرته الواقعية في إطار خيالي، وقد انحصرت

(١) المصدر السابق، ص ٣٦٣.

خياليـة السـرد فـي المواقـف التـي كانـت تصـيب إبـراهيم فيهـا الهـلاوس السـمعية والبصـرية مـن أجـل التـأثير فـي القـارئ، ودفعـه كـي يـرى الأحـداث مـن منظـور البطل، لا من منظور خارجي.

وفـي الختـام تجـدر الإشـارة إلـى أن المشـهد الروائـي الأردنـي قد تغيّر فـي العقود الأخيرة، ووصـل إلـى مرحلـة مـن النضـج، تجعلـه جـديراً بإلقـاء المزيـد مـن الضوء عليه. وعلى ذلك نرى أن المجتمع النقدي في حاجة إلى تقديم المزيد من العناية للأدب السردي الأردني، الذي أصبح أكثر انفتاحًا على الساحة العربية، وأكثر جدارة بالدرس النقدي.

نتائج البحث

١- إن الكاتب جلال برجس قد أبدى في هذه الرواية قدرة احترافية على السرد.

٢- وتناولت الرواية بعض الظواهر الاجتماعية مثل الفقر والتشرد، والسلطة الأبوية، والتمايز الطبقي، وانتشار المرض النفسي في العصر الحديث لاسيما الاكتئاب، وتأثير الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي على حياة الناس وأفكارهم، وأظهرت الرواية أن بعض هذه القضايا تحمل طابعًا عالميًا كأثر من آثار العولمة، وبعضها تحمل خصوصيةً في المجتمعات العربية لما تحمله من أثر الثقافة العربية التي تعطي الآباء سلطة مطلقة في تحديد مصير الأبناء، وانعكاس تلك الظواهر على حياة الإنسان الأردني المعاصر.

٣- اتخذ الكاتب تقنية الراوي المشارك في الأحداث من خلال مجموعة من شخوص الرواية يقومون بدور الراوي بالتناوب، مفضلاً ذلك على تقنية الراوي العليم، لما لها من مصداقية لدى القارئ، ولما تسمح به من كشف عن دواخل الشخصيات ودوافعها وأبعادها النفسية والعاطفية.

٤- اهتمت الرواية بالمكان كعنصر فاعل ومؤثر في أحداث الرواية، كما كان المكان مؤثرًا في حياة الإنسان في الواقع.

٥- اختلطت الأزمنة والأمكنة في الرواية على نحو أعطى السرد حالة من الحيوية، ومكّن النص من إحداث الأثر المنشود لدى القارئ.

٦- استخدم الكاتب الوصف بشكل مكثف ليصنع محطات يستريح فيها القارئ من السرد من جهة، ولإكساب الأماكن والأشخاص أبعادًا واقعية من جهة أخرى، بالإضافة إلى خلق حالة مشهدية تكتسب الروح الواقعية.

٧- اعتمد الكاتب في السرد على التضفير بين الواقعية والخيال؛ ليصنع عالمه الروائي. إذ تتألف حبكة الرواية من أحداث واقعية وأحداث خيالية.

مصادر البحث ومراجعه

١- جـلال بـرجس، دفـاتر الـوراق، المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنشـر، ط١، ٢٠٢٠م.

٢- ألان روب جريبيـه، نحـو روايـة جديـدة، ترجمـة مصـطفى إبـراهيم، سلسـلة دراسات في الآداب الأجنبية، دار المعارف، القاهرة.

٣- جاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة: غالب هلسا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

٤- الجيلالـي الغرابـي، عناصـر السرد الروائـي، عـالم الكتـب الحـديث، الأردن، ٢٠١٦م.

٥- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٦- حميد لحميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م.

٧- سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط٢، ٢٠٠١م.

٨- عبد الرحيم الكردي، السرد في الرواية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٩- عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

١٠- علـي محافظـة، تـاريخ الأردن المعاصـر، عهـد الإمـارة، الجامعـة الأردنيـة، عمان، ط١، ١٩٧٣م.

١١- محمد مصطفى بدوي، نظرية كوليردج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٢- ممدوح فرج النابي، جماليات النص، دراسات في الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٤م.

١٣- منير محمود بدوي، مفهوم الصراع، دراسة في الأصول النظرية للأسباب، مجلة دراسات مستقبلية، مصر، مركز دراسات المستقبل، ١٩٩٧م، العدد ٣.

١٤- جلال برجس رئيساً لمختبر السرديات الأردني، جريدة الدستور الأردنية dostor.com

١٥- الفقر والمجتمع Poverty and society.www.fedo.net

١٦- ملخص رواية "دفاتر الوراق" middle-east-online.com

١٧- موقع وزارة الداخلية الأردنية، تاريخ الدخول: ٢٩ أكتوبر ٢٠٢٢، الرابط: https://moi.gov.jo/AR/Pages/%D9%85%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85%D8%A7%D8%AA_%D8%B9%D8%A7%D9%85%D8%A9_%D8%B9%D9%86_%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%B8%D8%A9__%D9%85%D8%A7%D8%AF%D8%A8%D8%A7

18-More information on studyinrussia.ru: https://studyinrussia.ru/ar/life-in-russia/discover-russia/towns/moscow

19-Wikipedia